الرسالة

(٢ كورنثوس ٩: ٦–١١)

يا إخوةُ إنَّ مَن يزرَعُ شحيحًا فشحيحًا أيضًا يحصُدُ ومَن يزرَعُ بالبركاتِ فبالبركاتِ أيضًا يحصُد* كلُّ واحدٍ كما نوى في قلبِه لا عن ابتئاسٍ أو اضطرار. فإنَّ اللهَ يُحبُّ المُعطيَ المتهلِّلَ* واللهُ قادرٌ أن يزيدَكم كلَّ نعمةٍ حتى تكونَ لكم كلُّ كِفايةٍ كلَّ حينٍ في كلِّ شيءٍ فتزدادوا في كلِّ عملٍ صالحٍ* كما كُتب إنَّه بدَّد أعطى المساكينَ فبِرُّهُ يدومُ إلى الأبد* والذي يرزُقُ الزراعَ زرعًا وخُبزًا للقوتِ يرزُقُكم زرعَكم ويُكثِّرُهُ ويزيدُ غِلالَ بِرِّكم* فتستغنُونَ في كلِّ شيءٍ لكلِّ سخاءٍ خالِصٍ يُنشئُ شُكرًا لله.

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧–٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى كورةِ

العدد ٢٠١٩/٤٢

الأحد ٢٠ تشرين الأول

تذكار الشهيد أرتاميوس

والبار جراسيموس الناسك

اللحن الأول

إنجيل السَحَر السابع

العطاء

يقول الرسول بولس في رسالة اليوم: «فإنَّ اللهَ يُحبُّ المُعطي المتهلِّلَ» وكأنّنا بالرسول يميِّز بين نوعَين من واهبي الإحسانات: مَن يعطون عن اضطرار أو لغاية في نفوسهم، ومَن يعطون بفرح وسرور ولا يبتغون شيئًا إلّا وجه الله.

في هذا المقطع، يحثّنا الرسول بولس على العطاء من دون تردّد أو خوف. العطاء يخترق كلّ الحواجز بين الإنسان والآخر كما يقول أحد الآباء: «لأنّني عندما أُعطي، عليَّ أن أمدّ يدي نحو الآخر، وأضع ما فيها في يده، لذلك فإنَّ يدي تخترق كلّ الحواجز بيني وبينه». بالعطاء يخترق الإنسان الحاجز بينه وبين الله: «بما أنّكم فعلتموه بأحدِ إخوتي هؤلاءِ الأصاغرِ فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). ما نفعله مع إخوتنا، نفعله مع الله. تاليًا، الله هو المتقبّل للعطايا، كما أنّه هو مُعطي تلك العطايا أصلًا. ليست الخيرات التي نملكها ونستعملها في الإحسان منّا، بل من الله: «الذي يرزُقُ الزارِعَ زرعًا وخُبزًا للقوتِ يَرزُقُكم زرعَكم ويُكثِّرُهُ ويزيدُ غِلالَ بِرِّكم» (٢كو ٩: ١٠).

إذًا، عندما نُحسن، علينا أن نعي أنّ الله هو المعطي والمتقبّل في الوقت ذاته، على حسب ما نقول في سرّ الإفخارستيّا، قبل الشيروبيكون، إنّ الربّ يسوع هو «المُقرِّب والمقرَّب، والقابِلُ والموزَّع». لذلك، يشدِّد الربّ يسوع: «متى فعلتُم كلَّ ما أُمِرتُم به فقولوا إنَّنا عبيدٌ بطّالون. لأنّنا إنّما عمِلنا ما كان يجبُ علينا» (لو ١٧: ١٠). يقول الكاهن في القدّاس الإلهيّ: «التي لك ممّا لك نقدّمها لك».

الزارع هو المُحسن والمُعطي، والزرع هو الإحسان والعطاء. تمّ استعمال صورة الزرع للدلالة على أنّ لكلّ ما نقوم به أجرًا أو نتيجة. فكما يُنتج الزرع ثمارًا، أحيانًا وفيرة وأحيانًا قليلة، تبعًا لنوع البذور المستعملة والكمّيّة المزروعة وطريقة الإعتناء بها، هكذا إحسانُنا ستكون نتائجه، المادّيّة والروحيّة، حسب ما نزرع وكيفيّة زراعتنا وطريقة معاملتنا للزرع. ثمّة نوعان من المزارعين: مَن يزرع شحيحًا، ومَن يزرع بالبركات. لم يستعمل الرسول بولس قليلًا... أو كثيرًا، بل شحيحًا وبالبركات. الزرع الشحيح هو الزرع القليل الناتج عن البخل، وليس عن قلّة الموارد. إنّه ناتجٌ عن

خوف الزارع من أن يبدّد في الأرض، غير عالم أنّ الله هو الذي يُنبت ويُنمّي ويُعطي الغلّات الوافرة. الزارع البخيل يحتار ماذا يفعل بالمحاصيل إن زرعَ بوفرة وجاء نتاجه كبيًرا، الأمر الذي سنسمعه، بعد أسابيع، في مَثَل الغنيّ الذي أخصبت أرضه. إذًا، عبارة الشحّ مرتبطة بالبخل والخوف من التبديد. نتيجة زرع كهذا ستكون شحيحة من الناحيتين المادّيّة والروحيّة: المحصول قليل، وسوف يُرمى في الظلمة البّرانيّة حيث البكاء وصريف الأسنان.

مقابل الزرع الشحيح هناك الزرع بالبركات: «مَن يزرع بالبركات فبالبركات يحصد». ليس الموضوع أن نزرع بكثرة، فللزراعة أيضًا أصول: نزرع ما هو كافٍ، وتستطيع الأرض احتماله ليكون الثمر جيّدًا ووافرًا. المقصود هو النفسيّة التي نزرع بها. تزرع «بالبركات»، أي بالاتّكال على الربّ الذي يرسل المطر في وقته وينمّي الزرع، بينما أنت نائم في منزلك. تزرع وتسلّمه للربّ لينمّيه. يقول الرسول بولس في موضع آخر: «من هو بولس ومَن هو أبلّوس، بل خادمان... أنا غرست وأبلّوس سقى لكنّ الله كان ينمّي. إذًا ليس الغارس شيئًا ولا الساقي بل الله الذي ينمّي. والغارس والساقي هما واحد لكنّ كلّ واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. فإنّنا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحةُ الله. بناء الله» (١كو ٣: ٥–٩). مَن يزرع بالبركات هو «عامل مع الله» و«كلّ واحد سيأخذ أجره». يقول أحد الآباء: «إذا رمى البذار بالبركات فبالبركات يحصد، ما يبدو أنّه يبدّده يجد أنّه يكثّره. هذه الخبرة التي عند الزارع من الحياة العمليّة يختبرها مَن يوزّع الخيرات. فبمقدار ما نبدّد هنا بمقدار ما نحصد خيرات أبديّة، روحيّة، وأحيانًا أيضًا دنيويّة. بقدر ما نبدّد بقدر ما نشارك فعلًا الإخوة المحتاجين. فنحن نشتري، بما نبدّده، العلاقات الأخويّة والمحبّة التي نريدها. هذه الأخيرة هي غاية الأولى، وهي أثمن بكثير من المقتنيات. يبدو للزارع أنّ البذار تموت حين يرميها، لكنّه يعرف أنّ الحبّة، إن لم تمت، لا تعطي ثمرًا. هكذا المعطي الداعي، حين يبدّد يهلّل ويوزّع ببشاشة وفرح، لأنّه يعرف أنّه بالواقع يجمع ما هو أثمن». لذا، يردف الرسول: «ليعطِ كلّ واحد كما نوى في قلبه، لا عن ابتئاس أو اضطرار، فإنّ الله يحبّ المعطي المتهلّل». عندما يسيطر العقل، وتبدأ الحسابات والعدّ، تزول البركات. قال الربّ: «يا ابني أعطِني قلبك» (أم ٢٣: ٢٦)، فمِنَ القلب الصالح تخرج الصالحات. القلب المملوء من فرح الربّ يعطي بتهليل وسرور، والربّ يمنحه الخيرات الأرضيّة والسماويّة بوفرة أكثر من المتوقّع.

المجمع المقدّس

انعقد المجمع الأنطاكي المقدس برئاسة غبطة البطريرك يوحنا العاشر (يازجي) في دورته العادية الحادية عشرة من الثالث وحتى العاشر من تشرين الأول ٢٠١٩ في البلمند.

تدارس الآباء موضوع «العائلة» كموضوع أساس على جدول أعمال المجمع. وضمّوا إلى الجلسات المجمعيّة المتعلّقة بهذا الموضوع عددًا من الأخصائيّين من إكليروس وعلمانيّين، وقد توقّفوا في الجزء الأكبر من مداولاتهم أمام حجم التحدّيات التي تواجه العائلة، في الوطن وبلاد الانتشار، وتنوّعها. ثم تناولوا عدّة مواضيع كنسيّة وإداريّة تُعنى بالإنسان.

الجُرجسينَ فاستقبلهُ رجلٌ من المدينة به شياطينُ منذ زمانٍ طويلٍ ولم يكن يلبَسُ ثوباً ولا يأوي إلى بيتٍ بل إلى القبور* فلمَّا رأى يسوعَ صاح وخرَّ له وقال بصوتٍ عظيمٍ ما لي ولك يا يسوعُ ابنَ اللهِ العليّ. أطلبُ إليك ألَّا تُعذِّبَني* فإنَّه أمرَ الروحَ النجسَ أن يخرجَ من الإنسان لأنَّه كان قد اختطفه منذ زمانٍ طويلٍ وكان يُربَط بسلاسلَ ويُحبَسُ بقيودٍ فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من الشيطان إلى البراري* فسأله يسوعُ قائلاً ما اسمُك. فقال لجيونُ لأنَّ شياطينَ كثيرين كانوا قد دخلوا فيه* وطلبوا إليهِ أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية* وكان هناك قطيعُ خنازير كثيرةٍ ترعى في الجبل* فطلبوا إليه أن يأذنَ لهم بالدخولِ فيها فأذِن لهم* فخرج الشياطينُ من الإنسانِ ودخلوا في الخنازيرِ فوثبَ القطيعُ عن الجرفِ إلى البحيرةِ فاختنقَ* فلمَّا رأى الرعاةُ ما حدث هربوا فأخبروا في المدينة وفي الحقول* فخرجوا ليَروا ما حدث وأتوا إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ الذي خرجتْ منه الشياطين جالساً عند قَدَمَي

يسوعَ لابساً صحيحَ العقل فخافوا* وأخبرهم الناظِرون أيضاً كيف أُبرِئَ المجنونُ* فسأله جميعُ جمهورِ كورةِ الجُرجسيين أن ينصرفَ عنهم لأنَّه اعتراهم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجع* فسأله الرجلُ الذي خرجت منه الشياطين أن يكون معه. فصرفه يسوعُ قائلاً إرجعْ إلى بيتك وحدِّثْ بما صنع اللهُ إليك. فذهب وهو ينادي في المدينة كلِّها بما صنع إليه يسوع.

تأمل

من هذه القيود التي لا تنفكّ (قيود الخطيئة الثابتة)، أيّها الملك الكليّ الاقتدار، أنت الفادي بامتياز، أنقذني يا مخلّصي. ففي هذه القيود أُخذت من جرّاء ضعفي، إذ قد طاردني عدوّنا الغاوي بحسده، عندما رأى أنّي تخلّصت من زلّاتي الماضية وقد وثقت بصلاحك الذي لا حدّ له. سلامٌ، يا ابنًا لا مثيل له لآبٍ لا مثيل له، يا ملكي الأعظم، فقد سحقتَ الحيّة التي كانت علّة مصائبنا، وهزمت الموت عدوَّنا الأشدّ إرهابًا (١كو ١٥: ٢٦). لا تسلّمني مجدّدًا لأيديهما، أيّها الملك، فأنت الإله الكلّيّ الاقتدار والديّان العادل للغاية،

مؤتمر طبي

مساء الخميس ١٠ تشرين الأوّل ٢٠١٩، إفتتح سيادة راعي الأبرشيّة المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام، المؤتمر الطبّي السنويّ الرابع والعشرين الذي ينظّمه مستشفى القدّيس جاورجيوس الجامعيّ، في حضور البروفسور Jean-Louis Touraine النائب عن منطقة Rhône والمسؤول عن البعثة المكلّفة وضع قانون الأخلاقيات الإحيائية Biothique والذي تحدث عن الأخلاقيات الطبية. كما حضر حشد من الكهنة والسياسيين والإعلاميين والمثقفين ووفود من مستشفيات Nîmes, Poitiers Montpellier والكوادر الإداريّة والطبيّة والتمريضيّة في المستشفى.

خلال الجلسة الإفتتاحيّة، ألقى سيادة راعي الأبرشيّة الكلمة التالية:

««أكرِمْ الطبيبَ لأجل فوائده، ولأنّ الربَّ خلَقَه، فمن العليّ معرفتُه» (سيراخ ٣٨: ١ و٢).

عندما نذكرُ كلمةَ «تطوُّر»، ترحلُ عقولُنا فورًا إلى نظريّة دارون عن التطوّر البشريّ. لكنّنا، كمسيحيّين، نؤمنُ أنّ الإنسانَ ليس بحاجة إلى التطوّر «شكلًا»، لأنّه مخلوقٌ على صورة الله ومثاله (تك١: ٢٦)، لكنّه أصبح محتاجًا إلى تطوُّر من نوع آخر، بعدما سقط في الخطيئة وابتعد عن الله. هذا التطوّر هو السعيُ الدائمُ نحو التألُّه، أي نحو استعادة المثال الذي خسره الإنسان بعد السقوط. الطريقُ إلى هذا التطوّر تمرُّ عبر طريق التواضع والتوبة، الفضيلتَين اللّتَين ابتعدنا عنهما كثيرًا في أيّامنا الحاضرة.

إنسانُ هذا العصر تَنَكَّرَ للنعمة الإلهيّة التي بها يحيا وينمو، وللروح القدس الذي ينيرُ دربَه ويقودُه نحو الصلاح، وراح يتعبّد لذاته، لأناه، لشخصه، لمركزه... ناسيًا أو متناسيًا أنّه لا شيء، وأنّ ما له هو من نِعَم الله عليه. إنّ الله يُشرق شمسَه على الصالحين والأشرار (متى ٥: ٤٥)، لكنّ مَن يرى نورَ الله هو وحده الذي يعمل بهدي تعاليمه ويثمّر الوزنات المعطاة له، فتقوده يدُ الله وتكون أعمالُه مبارَكة.

نحن اليوم نفتتح مؤتمرًا طبيًّا، هو الرابع والعشرون الذي يقيمه هذا المستشفى الذي ناهز الـ١٤١ عامًا، لكنّه ما زال يواكب التقدّم العلميّ والتكنولوجيّ ويطمح إلى تقديم أفضل خدمةٍ للمريض من أجل حياةٍ أفضل.

التقدّمُ من البذور الإلهيّة التي غرسَها الله في الإنسان منذ الخلق. لذا، كلُّ تقدّم يحصل على هذه الأرض، يجب أن يعكسَ حضورَ الله في كلّ جوانبه، وإلّا أصبح الهدفُ المبتغى إظهارَ الأنا وحسب. يقول الرسول بولس: «نهدِمُ الجدلَ الباطلَ وكلَّ عقبةٍ ترتفع لتحجُبَ معرفةَ الله، ونأسِرُ كلَّ فكر ونُخضِعُه لطاعةِ المسيح» (٢كو١٠: ٥).

كلُّ إنسان مدعوٌّ إلى التقدُّم، خصوصًا إذا كان هذا التقدُّم يصبُّ في مصلحة الإنسان، الأمر الذي حثّنا عليه ربُّنا بقوله: «مَن سقى أحدَ هؤلاء الصغار ولو كأسَ ماءٍ باردٍ لأنه تلميذي، فأجرُه، الحقَّ أقول لكم، لن يضيع» (مت ١٠: ٤٢)، فكيف إذا كان الهدفُ من التقدُّم منحَ الإنسان حياةً كريمةً وصحّةً لا يشوبُها اعتلال. كلّما تقدّم العلمُ (وهنا نقصد الطبَّ، الذي تقيمون له مؤتمرًا تتباحثون خلاله في كيفيّة تكريم الإنسان بوضع إكليل الصحّة على رأسه)، كلّما مُنِحَ الإنسانُ وقتًا إضافيًّا في هذه الحياة الأرضيّة ليتوبَ

ويتقدّمَ نحو الهدف الأسمى، أي التألُّه. إذًا، الطبيبُ هو مُساعِدٌ للإنسان في مسيرتِه نحو الله، لذلك عليه أن يكون كالسامريّ الشفوق، الذي لم يأبَه لانتماء اليهوديّ المُعتدى عليه، بل داواه ونَقَلَه لنيل العناية اللازمة، وهكذا تمجَّدَ اللهُ من خلال عملٍ بشريّ بسيط.

التقدُّم الطبّيّ واجبٌ، وإلّا لا نكونُ نعملُ على تثمير الوزنات التي منحنا إيّاها الربّ. كلُّ تقدّمٍ هو دليلٌ على حضور الروح القدس الحيّ والمحيي في حياتنا كبشر. إنما على كلّ طبيب ألّا ينسى أنّ اللهَ هو طبيبُ النفوس والأجساد، وهو العالِمُ بكلِّ شيء، الأمر الذي أعلنه يشوع بن سيراخ قائلًا: «العليُّ يعلمُ كلَّ علمٍ ويتبيّنُ علاماتِ الأزمنة. يُخبرُ بالماضي وبالمستقبل ويكشفُ حتى أخفى الآثار. لا تغيبُ عنه خاطرةٌ ولا يَخفى عليه كلام» (٤٢: ١٩–٢٠). هذه الفكرة يجب أن ترسخَ في فكر كلِّ مؤمن، على مثال القدّيس لوقا الجرّاح المُعترف، أسقف سيمفيروبول، الذي كان يأبى دخول غرفة عمليّات ليُجري جراحةً، إن لم تكن أيقونةُ والدة الإله معلّقةً على جدار الغرفة، علمًا أنّه عاش في ظلِّ نظامٍ بعيدٍ عن الله كلَّ البُعد. هذا يعنيَ أنّه آمن بأنّ يدَ الله هي التي تعمل من خلاله وتشفي بواسطته. يقول يشوع بن سيراخ: «وادْعُ الطبيبَ لأنَّ الربَّ خلقه، وخَلِّهِ إلى جانبك ما احتجتَه، فيومًا ما يكون شفاؤك على يديه، ويكون ذلك أنه دعا الربَّ فاستجاب منعِمًا عليه بالنجاح في تخفيف الأوجاع واسترجاع العافية» (٣٨: ١٢–١٤).

إنّ هذا المستشفى التابع لأبرشيّة بيروت، قد اتّخذ اسمَ القدّيس جاورجيوس ليتمثّل به، وليذكّرَنا دائمًا أنّ هذا المكانَ يحفظُه حبيبٌ للمسيح، قدّمَ نفسه شهيدًا للربّ. أليست هذه دعوةُ كلِّ طبيب؟ ليست كلُّ شهادةٍ هي شهادةُ دم، بل كلُّ تضحيةٍ هي شهادة: البعض يضحّي بوقته، والبعض بمالِه والبعض بحياته الاجتماعيّة... كلُّ ذلك لمجدِ الله من خلال أخينا الإنسان. وهذه، لا سواها، هي غايةُ الطبيب لأنها من ثمار المحبة. من هنا تبرزُ أهميّةُ هذه المؤتمرات الطبيّة، التي تجمع أشخاصًا من لبنان وخارجِه، نذروا أنفسَهم لخدمة الإنسان، يضحّون بغيةَ التقدُّم في سُبُلِ الخدمة، إن من ناحية الدراسات والأبحاث، أو العلاج، أو الأدوية، أو الآلات والتقنيّات، أو المتابعة النفسيّة، وغير ذلك الكثير، وما هذا سوى تجلٍّ للمحبّة التي جبلَنا الله بها. هذه المحبة التي نعمل بهديها، طامحين أن يبقى هذا المستشفى مقصدًا لكل محتاج إلى شفاء النفس والجسد، وأن نكون، مسؤولين عن هذا المستشفى وعاملين فيه، أدواتٍ في يد الله يعمل من خلالها وتعمل على تمجيد اسمه.

دعائي إلى الربّ الإله، أن يحفظَكم، وينيّر أذهانكم، لكي تنتقلوا من تقدُّم إلى تقدُّم، في سبيل خدمة أبنَاء الله وإخوتنا البشر».

للإطلاع على بيان المجمع كاملًا وعلى الكلمات التي أُلقيت في المؤتمر الطبي الرجاء مراجعة:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

الآتي ليدينني (مز ٩٥: ١٣). كيف سأجرؤ على التحديق بك عندئذٍ، أيّها الكلمة؟ كيف ستقدر عيناي أن تتأمّل جلالك، أنا البادي في شقاوتي غير مستحقٍّ للسماء ولا للأرض ولا لخليقتك؟ فقد استحوذ عليّ الخبيث وقذف بي إلى الهاوية، إلى اللّجّة وإلى السَّديم الهائل. ومن فرط المطاردات، انتهى الغاوي إلى إدراكي ورماني بكليّتي في ظلمات الجحيم. فارحمني يا إلهي ومدّ لي يديك، أغثني ولا تسلمني لهوى عدوّ الجنس البشريّ. إنّي خليقتك، فدرّبني أيّها الكلمة، وأصلحني أنت هنا على الأرض بصلاحك الذي لا يُستقصى، ولا تسمح بأن أُلقى في جهنم. إنّا نتضرّع إليك أيّها الفادي: قد ارتكبنا المظالم بشقاوةٍ في الجسد والنفس والذهن، وخطئنا إليك، وغالبًا ما تجاوزنا نواميسك. قد فهمنا ذلك متأخّرين جدًّا، إذ لمّا كان علينا فهمه كنّا نجهله، ثمّ إنّا لم نقم بعد بما هو مَرضيٌّ لديك. ها إنّا نعترف بزلّاتنا، فاغفرها أنت لنا من جهتك.

دعاء للقديس غريغوريوس اللاهوتي